كلية : الاداب

القسم او الفرع :تاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : ا. د. عبد صالح محمد

اسم المادة باللغة العربية :العباسي الاول

اسم المادة باللغة الإنكليزية : The first Abbasid era

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: حركة الخوارج

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: foreign movement

...

تناولت في هذه المحاضرة حركة الخوارج

الخوارج اسم أطلقه مخالفو فرقة قديمة محسوبة على الإسلام كانوا يسمون أنفسهم بـ«أهل الإيمان»، وهي أول فرقة ظهرت في الإسلام علي يد ذو الخويصرة التميمي، واشتهرت بالخروج بالسيف علي عثمان بن عفان وقتله، وخروجهم بالسيف على علي بن أبي طالب بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ؛ لرفضهم التحكيم بعد أن عرضوه عليهم وقتل علي بن أبي طالب عبر ضرب عنقه وهو يصلي علي يد عبد الرحمن بن ملجم المذحجي ثأراً لقتلى جيش الخوارج في معركة حروراء، وقد عرف الخوارج على مدى تاريخهم بالمغالاة في الدين وبالتكفير والتطرف، كما عرفوا بالصدق الشديد كونهم يعتبرون الكذب من الكبائر المُكفرة ولذلك كان يثق علماء الحديث برواة الخوارج فيقول أبو داوود: «ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثا من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان وأبا حسان»، وقد عرفوا أيضا بكثرة الصلاة والصيام وقراءة القرآن فيقول النبي ﷺ: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم»، وأهم عقائدهم: تكفير أصحاب الكبائر، ويقولون بخلودهم في النار، وكفروا عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة، ويقولون بالخروج بالسيف على الحكام الظالمين والفاسقين وهذا الرأي يتفق مع بعض علماء أهل السنة الذين يرون جواز الخروج بالسيف علي الحاكم الظالم الجائر كابن حجر العسقلاني احتجاجا بالقراء الذين خرجوا علي الحجاج بن يوسف الثقفي وأهل المدينة في الحرة، وهم فرق شتى. ويلقب الخوارج بالحرورية والنواصب والمارقة والبغاة والمكفِّرة والشكاكية والشراة والمُحَكِّمة، والسبب الذي من أجله سموا خوارج لأنهم خرجوا على أئمة الحق والعدل، وسموا شراة لأنهم قالوا شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة، وسموا المكفرة لتكفيرهم أصحاب الكبائر كالسارقين والزناة وشاربي الخمر والقول بخلودهم في النار كالكفار، وسموا البغاة لأنهم يبغون علي المسلمين ويقتلونهم بغير الحق، وسموا مارقة وذلك للحديث النبوي الذي أنبأ بأنه سيوجد مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية، إلا أنهم لا يرضون بهذا اللقب لأنهم يعتبرون أنفسهم على الهدى والحق وأما غيرهم فإنهم أهل كفر، وسموا المحكمة لإنكارهم الحَكَمين (عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري) وقالوا لا حكم إلا لله. ولقد توالت الأحداث بعد ذلك بين علي والذين خرجوا عليه بالسيف، ومحاولته إقناعهم بالحجة والرد علي شبهاتهم عبر مناظرة بن عباس لجيشهم فعاد أكثرهم وتابوا إلا قلة، ثم قيام الحرب وهزيمتهم وهروبهم إلى سجستان وحضرموت، وبعثهم من جديد وتكوين فرق كانت لها صولات وجولات من حين لآخر لقتال الحكام والأئمة المسلمين الشرعيين، ومنهج التعامل معهم كما قال الإمام

الشافعي «ولو أن قوماً أظهروا رأي الخوارج وتجنبوا جماعات الناس وكفروهم لم يحلل بذلك قتالهم لأنهم على حرمة الإيمان لم يصيروا إلى الحال التي أمر الله عز وجل بقتالهم فيها . بَلَغَنا أن علياً - رضي الله تعالى عنه - بينما هو يخطب إذ سمع تحكيما من ناحية المسجد : لا حكم إلا الله عز وجل . فقال علي - رضي الله تعالى عنه - : كلمة حق أريد بها باطل ، لكم علينا ثلاث : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نبدؤكم بقتال . .» وقال الشافعي كذلك «أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم الأزرقي الغساني عن أبيه أن عدياً كتب لعمر بن عبد العزيز أن الخوارج عندنا يسبونك . فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : إن سبوني فسبوهم أو اعفوا عنهم ، وإن أشهروا السلاح فأشهروا عليهم ، وإن ضربوا فاضربوهم» وقال علي بن أبي طالب «إن خالفوا إمامًا عدلًا فقاتلوهم، وإن خالفوا إمامًا جائرًا فلا تقاتلوهم؛ فإن لهم مقالً».

ولا يعد كل من يخرج علي الحاكم بالسيف من الخوارج فهناك أهل حق وهم من خرجوا بالسيف علي الحكام الظالمين والذين يتركون العمل بالسنة النبوية والحدود ويحلون شرب الخمر والزنا كما قال ابن حجر العسقلاني: «وقسمٌ خرجوا غضبًا للدين، من أجل جَور الولاة وتَرْك عملِهم بالسُّنة النبوية؛ فهؤلاء أهلُ حقٍّ، ومنهم: الحسين بن علي، وأهل المدينة في الحرَّة، والقرَّاء الذين خرجوا على الحجَّاج» وقال كذلك القرطبي: «لو تركَ الإمام إقامةَ قاعدةٍ من قواعد الدين؛ كإقام الصلاة، وصوم رمضان، وإقامة الحدود، ومَنَع من ذلك، وكذلك: لو أباحَ شُربَ الخمر والزنا، ولم يمنع منهما، لا يُختلف في وجوب خَلْعِهِ، فأمَّا لو ابتدعَ بدعةً، ودعا النَّاسَ إليها، فالجمهور: على أنه يُخْلَع». وهناك البغاة وهم من يخرجون بالسيف من أجل الملك فقط فقال بن حجر العسقلاني «وقسم خرجوا لطلب الملك فقط سواء كانت فيهم شبهة أم لا وهم البغاة»وقد ظهرت فرق أخري بسبب الخوارج مثل فرقة المرجئة التي نشأت للرد عليهم فأخرجت العمل من الإيمان ليكون أهل القبلة جميعا مؤمنين مهما كانت أعمالهم.

الخوارج هي فرقة كلامية إسلامية، نشأت في نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان وبداية عهد الخليفة علي بن أبي طالب، نتيجة الخلافات السياسية التي بدأت في عهده. تتصف هذه الفرقة بأنها أشد الفرق دفاعا عن مذهبها وتعصبا لآرائها، كانوا يدعون بالبراءة والرفض للخليفة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والحكام من بني أمية، كسبب لتفضيلهم حكم الدنيا، على إيقاف الاحتقان بين المسلمين. أصر الخوارج على الاختيار والبيعة في الحكم، مع ضرورة محاسبة أمير المسلمين على كل صغيرة، كذلك عدم حاجة الأمة الإسلامية لخليفة زمن السلم.

لقد وضع الخليفة علي بن أبي طالب منهجا قويما في التعامل مع هذه الطائفة، تمثل هذا المنهج في قوله للخوارج: «ألا إن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا: لن نمنعكم مساجد الله، ولا نمنعكم فيئا ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا».وهذه المعاملة إذا ما التزموا جماعة المسلمين ولم تمتد أيديهم إليها بالبغي والعدوان، أما إذا امتدت أيديهم إلى حرمات المسلمين فيجب دفعهم وكف أذاهم عن المسلمين، وهذا ما فعله أمير المؤمنين علي

حين قتل الخوارج عبد الله بن خباب بن الأرت وبقروا بطن جاريته، فطالبهم بقتلته فأبوا، وقالوا كلنا قتله وكلنا مستحل دمائكم ودمائهم، ثم قيام الحرب وهزيمتهم وهروبهم إلى سجستان وحضرموت ثم مقتل علي بن أبي طالب علي يد عبدالرحمن بن ملجم.

أتباع زياد بن الأصفر، وقيل نسبة إلى عبد الله بن صفار أو النعمان بن صفر. يقول عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق): «..وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، والأزارقة يرون ذلك. وقد زعمت فرقة من الصفرية أن ما كان من الأعمال عليه حدٌّ واقع لا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له كزان وسارق وقاذف وقاتل عمد، وليس صاحبه كافراً ولا مشركاً، وكل ذنب ليس فيه حدٌّ كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر، وإن المؤمن المذنب يفقد اسم الإيمان في الوجهين جميعاً. وفرقة ثالثة من الصفرية قالت بقول من قال من البيهسية: إن صاحب الذنب لا يحكم عليه بالكفر حتى يرفع إلى الوالي فيحده. فصارت الصفرية على هذا التقدير ثلاث فرق».

وقال أبو الفتح الشهرستاني عن عقائدهم أنهم: «..لم يُكفّروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يُسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. وقالوا: التقية جائزة في القول دون العمل. وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد، كالزنا والسرقة والقذف، فيسمى زانياً سارقاً قاذفاً، لا كافراً مشركاً، وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل: ترك الصلاة والفرار من الزحف فإنه يكفر بذلك..»

ولقد ثار الخوارج مرة أخرى في الجزيرة العربية في عهد هارون الرشيد على أيدي أحد أقوى رجالهم وأشدهم بأساً وهو الوليد بن طريف، وقد حشد الرشيد جيشاً كبيراً وأمر عليه يزيد بن مزيد من قبيلة «وائل» والتي ينسب إليها الوليد بعد ما تصدى الأخير لعدد من جيوش الرشيد، فكتب أحد الشعراء قصيدة جاء فيها (وائل بضعهم يقتل بعضاً....لا يفل الحديد إلا الحديد)، ولكن واقع الأمر أن بأس الوليد كان أكبر من أن يدفع يزيدا للدخول في حرب مفتوحة معه، فلجأ للمناورات والتي استغرقت كثيراً من الوقت، فاستشاط الرشيد غيظاً وأرسل لقائد جيوشه برسالة تحقر من شأنه جاء فيها «.. لو وجهت أحد الخدم لقام بأحسن مما تقوم به»، وهو ما دفع يزيد للتعجيل بالحرب على الوليد وجيوشه، فدخل في صدام مباشر معه في معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة الوليد وقتله.

وبهزيمة الوليد انتهت فتنة الخوارج في الجزيرة العربية وإن كانوا قد ثاروا مرة أخرى في عهد الخليفة المهدي ولكنه هزمهم وشتت فلولهم، وبهذا النصر قضى العباسيون على الحركات الخارجية في المرحلة التالية، ولكن واقع الأمر أن التمركز الأساسي للخوارج كان في شمال أفريقيا، فلقد فر الخوارج من الهزائم المتتالية في الجزيرة العربية والعراق وفارس، ولجأوا لشمال أفريقيا، وهنا ساهم عاملان أساسيان في الانتشار النسبي لهم، الأول البُعد

الجغرافي لهذه المنطقة عن مركز السلطة والفكر المعتدل في العراق وهو ما خلق لهم مساحة من السلطة والفكر، ويضاف إلى ذلك أن بعض هذه الفرق استمالت كثيراً من عناصر البربر ذوي البأس الشديد، فكان هذان العاملان حاسمان لصالح انتشار الوجود للخوارج هناك.

وقد لجأت بعض الفرق إلى الاستقلال التدريجي عن السلطة العباسية المركزية، أي بنوع من الحكم الذاتي وليس الاستقلال الكامل إلا في حالات متفرقة، وكانت طرابلس الليبية أحد أهم نقاط تمحورهم، وهنا بدأت حركات الحكم الذاتي في الشمال الأفريقي على أيدي عبد الله بن مسعود، فولى الوالي العباسي عبد الرحمن بن حبيب أخيه إلياس حاكماً على طرابلس فكان أول ما فعله هو ضرب عنق عبد الله، فثارت الخوارج وأمَّرت أخيه بدلا منه واشتدت الفتنة هناك إلى أن اضطر عبد الرحمن لعزل أخيه عن طرابلس، وبدأ معهم صراعا ممتدا انتهى لصالح الدولة المركزية، فتفرق الخوارج مرة أخرى نحو الغرب، وتشير المصادر التاريخية إلى أنهم كونوا لهم دولا لعل أهمها كان الدولة «الرستمية» نسبة إلى عبد الرحمن الرستمي، وقد استمرت هذه الدولة حتى عام ٢٦٩ من الهجرة.

المراجع:

١-فاروق عمر فوزي، طبيعة الدعة العباسية.

٢-عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الاول.

٣-رشيد الجميلي، تاريخ الدويلات الاسلامية في العصر العباسي في المشرق والمغرب .

٤-طارق فتحي سلطان، التاريخ الاسلامي في العصر العباسي.

٥-طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدعوة العباسية.

٦-العبادي، احمد مختار، تاريخ الدولة العباسية.